الأيقونة بهجة العين وغذاء الروح

((لتصمت شفاه المنافقين الذين لا يسجدون لأيقونتك المقدسة التي صورت من لوقا الإنجيلي الكلي الطهر والتي بها اهتدينا)) عن الأودية التاسعة من البراكليسي الصغير.

اخترت هذه القطعة من صلاة البراكليسي ، المتكلمة عن الأيقونة وما أكثر ما نجد في الليتورجيا الأرثوذكسية. ذكر للأيقونة كثير لكن اخترت هذه القطعة فهي معروفة من الكل تقريباً، إذ أرى فيها حث بشدة من قبل المرنم لتقديم الإكرام الواجب لأيقونة والدة الإله المقدسة:

((*لتصمت شفاه المنافقين* ....))

والأيقونة لها دور أساسي في حياتنا الروحية ، كمبتدئين على درب الرب . كمرتقين للدرجات الأولى من سلم القداسة السلم إلى الله .فعندما نتأمل الأيقونة لا نقف عند حدود الألوان والخشب، للوصول لشخص صاحبها فعلينا مزج مشاعرنا بمشاعره ، عند ذلك نستطيع أن نقرأ بواسطتها .

((الأيقونة)) قصة حياته بنظرة واحدة . فنبدأ العمل لنقتدي به بحياته، فإن كان القديسون أناروا العالم بتعاليمهم وحياتهم فلازال نورهم يضيء العالم بفعل النعمة الإلهية ، وهكذا سيضل إلى الأبد.

والأيقونات هي قصص حيا تهم الممتدة لجيلنا . وستبقى إلى آخر الأجيال تشهد لجهادهم وأكاليلهم التي نالوها من لدن المخلص. وتظهر لنا المجد العتيد أن يتمجدوا به في اليوم العظيم، حيث تفصل الخراف عن الجداء.

وأيقونة القديس هي إمضاؤه واسمه الذي تركه على الأرض كشاهد للمسيح . فإن قبلتها فأنت تقبله وإن كرمتها فتكرمه، والذي أرسله بحسب كلام السيد .

((*من يقبلكم يقبلني ويقبل الذي أرسلني*))

((من يقبل نبياً بإسم نبيٍ فأجر نبي يأخذ)) متى ١٠ : ٤٠ -٤٢

((من يقبل باراً باسم بارٍ فأجر بارٍ يأخذ))

وبكلام آخر هي تعيدنا إلى مجد صاحبها . هي تذكرنا بقداسته ترينا أصوامه وأسهاره وطاعته، لأوامر الله المبتغى . ترينا مجده بدخوله الأبدية، اللا زمن حيث النور الغير الهيولي الغير المخلوق، نور الثالوث القدوس .

تنقلنا من المنظور إلى اللا منظور، من المحسوس إلى اللامحسوس، فهي كما يقال إنجيل مفتوح يعلمنا بصمت، كيف نصل إلى ملء قامة المسيح بالشركة معه.

ترينا المكافأة المعدة للقديسين، فنرى القديسين في الأيقونة يحملون هالة النور ((القداسة)) ونرى وجوههم منيرة ، ليس من جهة محددة ، حتى ملابسهم أيضا فهم باتوا أنواراً ثانية تستمد نورها مباشرةً من الثالوث من القداسة.

((لذلك لا يكون ظلال من جهة محددة في الأيقونات لأن القديس بات هو المنير هو باعث النور)) .

أما عندما نرتقي بالروح ((على سلم الله)) عندها لا نعود بحاجة للمحسوس لينقلنا لغير المحسوس أي اننا عندها نكون بشركة مباشرة بتماسٍ مباشرٍ مع الله ولسنا بعد بحاجة لوساطة حسية تساعدنا في رفع ذهننا وقلبنا إليه .

الأيقونة والوصية الثانية :

إن أمعنا النظر في الكتاب المقدس. نجد أن الله ميز بين استخدام الأيقونات في العبادة الرسمية ،التي من تدبيره ويحددها بوصاياه . وبين صنع صور لأمور خاصة يراها الإنسان ويرهبها. بحسب وجهة نظره الخاصة . فعندما حرم استخدام أي صورة أو تمثال بقوله ((لا تصنع لك صورة أو تمثال لا مما في السماء ولا مما في الأرض ولا مما في البحر)) . عاد وأوصى موسى بصنع تمثالين للشيروبيم بأجنحة متقابلة فتغطي غطاء تابوت العهد ليدلا على الحضرة الإلهية

" خروج ٢٦ :٣١ "

وأوصاه أيضاً بتصوير الشيروبيم ثانية على الحجاب الحريري الذي يفصل قدس الأقداس عن القدس – يقابله الآن الايقونسطاس في الكنيسة – أيضا تدخّل الله بنفسه ليكون الملاكان بدقة كبيرة ، إذ ملأ رجلاً فناناً من روحه مع جماعة من الفنانين لتكون تلك النقوش على أكمل وجه ((قال موسى لبني إسرائيل انظروا قد دعا الرب بصلئيل بن اوري بن حور من سبط يهوذا باسمه وملأه من روحه بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة. ولاختراع مخترعات ليعمل في الذهب والفضة والنحاس)) " خروج ٣٥: ٣٠-٣٥ "

أيضاً أمر الله موسى بصنع تمثال من نحاس لحية محرقة نارية – وهو نوع الحيات الموجودة في منطقة وادي العربا وهي حمراء اللون لذا تبدو متقدة بالنار – ووضعها موسى على سارية . لتكون مصدر شفاء لكل من تعرض للدغة أفعى .

وفي أيام سليمان نجد تكرار للأمر بأكثر دقة وزخم روحي

((١مل ٦: ٢٩ + ١مل ٦: ٣٤ + ١مل ٦: ١٨))

فنجد أن تلك النقوش والتماثيل. كانت جزءاً لا يتجزأ من العبادة الطقسية . ونتبين أمرين أعطاهما الله نفسه رعاية وأهمية .

١- المدلول الروحي .

٢- الإتقان الفني .

من حيث الإتقان الفني :

نجد أن الله لا يجيز لأي إنسان غير موهوب هبةً خاصة ، أو مؤازرة بالإلمام الروحي . أن يتجرأ على نحت أو رسم المقدسات . والإتقان الفني في المفهوم الروحي ليس مقدرةً شخصية إنما هو نعمة إلهية هبة إلهية ليس فيه اجتهادٌ أو تمرينٌ خاصٌ . فالمقصود بالفن المتقن نقل الإنسان للإلهيات من خلال الفن ، لا المتعة بالفن . فليس ثمة وجود للمتعة الفنية في العبادة قطعاً . من هنا علينا الحذر كرسامين للأيقونات . إذ علينا أن نتذكر دائماً أننا لسنا رسامين أيقونات إنما مصوري أيقونات ننقل عن الرسامين الذين هم على الأغلب قديسين . كالقديس آندره روبليف والقديس انطونيوس سيّا .

وعلينا أن لا نحاول البتة مقارنة الفن الدنيوي بأنواعه المختلفة بالأيقونة . فنحصل بذلك على صورة فنية لا على أيقونة صلاتيه. كمثل الفن الغربي الذي ابتدأ بالظهور حوالي القرن الخامس عشر . وعلينا ألاّ نفتخر بعملنا و أن لا ننسب الفضل لأنفسنا .

فمن المفترض أن يكون الله هو يستعير منا أيدينا أثناء الرسم كما يستعير يدا الكاهن في القداس .

لذا يكون استعداد قبل رسم الأيقونة ،بفترة صوم يرافقها صلاة مع مطانيات للقديس صاحب الأيقونة. مرفقة عادةً بطروبارية أحد الأرثوذكسية ((لصورتك الطاهرة نسجد أيها الصالح مستمدين مغفرة الخطايا أيها المسيح إلهنا لأن بمشيئتك سررت أن تصعد بالجسد على الصليب لتنجي الذين خلقت من عبودية العدو لذلك نهتف إليك بشكرٍ قد ملأت الكل فرحاً يا مخلصنا إذ أتيت لتخلص العالم)) عند ذلك تكون رسمتنا هي حقاً أيقونة أي عمل إلهي إنساني معاً. لذلك عند توقيع الأيقونات نجد أن أغلب الرسامين ،لا يضعون اسمهم إذ يعتبرون أن العمل هو عمل الروح القدس، و ليسوا هم إلا أداة لعمل الروح.

أما عندما يكتبون الاسم. نجده على الأغلب مقروناً ببعض العبارات التي تنم عن تواضع عميق. مثلاً بيد فلان أي لا ينسب الإبداع، له إنما هو مجرد وساطة . أو بيد الفقير لرحمة الله أو صورها بيده الفانية ...... الخ .

و الفن التصويري ليس مجرد ملء فراغ. أو تأدية طقس فالرسم ليس لملء زاوية في الكنيسة فارغة . إنما لملء روح الشعب و ربطها بالله و القديسين .

المدلول الروحي :

يقسم إلى ثلاث مراحل مترابطة

١- ***مرحلة الرمز :***

و الرمز في الفن الطقسي يحمل نفس قوة الواقع . فرفع الحية النحاسية هو موضوع رمزي تماما انكشف في العهد الجديد من السيد عندما قال :

((و كما رفع موسى الحية النحاسية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان)) يو ٣ : ١٤ .

٢- ***مرحلة الواقع :***

و لا يقل إبهاماً و دهشة عن الرمز فتمثال الكيروبيم الباسط جناحيه على التابوت ليدل على الحضرة الإلهية.

وهي موجودة بالفعل و هذا الأمر بحاجة لمن يفهمه. فلم يكن يجرؤ أن يدخل لحضرة الله غير رئيس الكهنة

- فالله فعلاً موجود -

٣- *مرحلة التاريخ :*

فهو ليس للتعلم وحسب ، بل لنقل الحقيقة الإلهية من جيل إلى جيل لأن الله هو هو اليوم وفي الأمس وإلى الأبد. وهذا من خلال الفن الرمزي والواقعي فحتى اليوم نضع رسم الحية النحاسية على طرف عصا الأسقف، أو عند رسم اسحق يحمل الحطب بجانب السيد المسيح الذي يحمل الصليب فهنا رمز تاريخي له نفس قوة الواقع. فكما يشفى من لدغتهُ أفعى بنظره للحية النحاسية المرفوعة، هكذا نرفع أعيننا نحو المسيح المصلوب المصور أمامنا فنشفى من لدغة الحية القديمة _ لدغة الخطيئة _

+ ولتوضيح ودعم ما سبق ندرج لمحبتكم هذا الشرح لأبينا القديس يوحنا الدمشقي :

((إن سألت : هل الله هو الإله الوحيد ؟ يبدو لي أنك تقول نعم . وهو المشترع الوحيد : فلمَ أعطى إذاً أوامر متناقضة ؟ والكروبيم هم من الخليقة بالتأكيد . فلما أمر إذاً بأن يُظَلِّلَ مائدة تابوت العهد كروبا منقوشان ومحفوران بيدٍ بشرية ؟.

السبب بَيِّنٌ في ذلك وهو عدم إمكانية تصوير الله _ كونه لا يحصر ولا يمثل _ أو أي أحدٍ آخرَ كإلهٍ ، حتى لا تعبده الخليقة كخالقٍ . لكنه أمر بتصوير الكروبين الماثلين لدى العرش الإلهي مؤديين دور الخدام بحيث تظلل صورتهم مائدة تابوت العهد بمثابة خادمٍ وكان يليق في الواقع بأن تُظَلِّلَ صورة الخدم [الليتورجية] السماوية صورة الأسرار الإلهية . وما هو التابوت برأيك وجرة المن والمائدة ؟ أولم تصنعها يدٌ بشرية ؟ أوليست مصنوعات الأيدي ؟ أولم تشكل من المادة التي هي دنيئة حسبما تقول ؟ وما هي الخيمة بكاملها ؟

أولم تكن صورة ؟ أولم تكن ظلً ومثالاً ؟ في الواقع عندما يصف الرسول الإلهي كهنة الشريعة يقول : ((هؤلاء يعبدون الله بخدمة هي صورة وظل لسماويات ، كما أُوعز إلى موسى لما هم بنصب الخيمة فقيل له: أنظر واصنع كل شيء على المثال الذي أُظهر لك في الجبل)) .

إذاً إذا ما كانت الشريعة تحرّ م الصور مع كونها هي نفسها تباشير [أو ملخص] صورة ، فماذا يمكننا أن نقول ؟

وإذا ما كانت الخيمة ظلاً وهيئةُ هيئةٍ فكيف يمكن للشريعة أن تحرم رسم الصور ؟ والحال أن هذا ما لم يحصل وما لم يكن بل الأجدر أن نقول : لكل شيءٍ أوان فالوصية تحرم تصوير أي شيء من المخلوقات لعبادته فتُعبد عندها الخليقة دون الخالق . / عن المواعظ الثلاث في الدفاع عن الأيقونات /))

إذاً ومن كل ما سبق الأيقونة لا تتعارض والوصية ((لا تصنع لك منحوتاً .... الخ)) .

لمحة عن الأيقونة في بداية المسيحية .

تأخر ظهور الأيقونات في بداية المسيحية لمجموعة أسباب :

١- تأخر ظهور الكنائس كأماكن مستقرة ثابتة للعبادة والمعروف في التقليد الديني المتوارث أن الرسوم والتصاوير أمور رسمية متعلقة فقط بأماكن الصلاة .

٢- انشغال الكنيسة وتوجيه كل طاقاتها للتبشير .

٣- العصور الأولى للمسيحية كانت ضيقة قليلة الاستقرار من الناحية السياسية .

٤- عدم انسكاب مواهب خاصة للفنون الطقسية بسبب الحاجة لتأسيس أمور أخرى أكثر أهمية .

٥- عدم توفر الفنانين من اليهود المتنصرين فالنحت والتصوير لم تكن من الحرف اليهودية خصوصاً على عهد المكابيين إذ ازداد التشديد على الوصية الثانية . ((ولم يكن يوجد بين اليهود حينذاك أي صانع للتماثيل أو أي مصور على الإطلاق)) اوريجانس .

٦- عدم توفر فنانين من الوثنيين المتنصرين أو أي إقبال منهم على الفن لبغضهم الشديد للأصنام وكل تصاويرها .

٧- أغلب أماكن العبادة كانت نائية ومخفية ولم تتوفر الفرصة لأعمال الفن .

٨- الاعتقاد السائد بقرب مجيء المخلص الثاني كان عاملاً أساسياً بعدم الاهتمام ببناء كنائس كبيرة جميلة .

٩- القوة الروحية عند المؤمنين قللت من الحاجة للعامل الفني

١٠- الإقبال بشدة على بيع المقتنيات وحياة الفقر المدقع وبالتالي الصفاء بالرؤية الروحية أغنت الكنيسة عن الحاجة للتصاوير الفنية .

+ لكن مع بداية القرن الثاني وبعده كانت بداية الأيقونة الرمزية . فأستخدم المؤمنون إشارة الصليب ووضعوها في بيوتهم ، وكانت السمكة رمزاً للسيد المسيح فأحرف اسمها ΙΧΘΥΣ

"ايختيس"

تمثل الأحرف الأولى ليسوع المسيح ابن الله المخص

Ιησους Χριστος του θεου Υιω Σωτηρ

ايسوس خريستوس تو ثيو إيو سوتير .

وكان الطاووس رمزاً لجمال الفردوس . والقمح والكرمة رمزاً للجسد والدم الإلهيين ، هذه كانت رموزاً مبدئية لكن كان الغنوسيين متقدمين في تعبيرهم الفني ، فرسموا المسيح بالألوان بتصاوير واضحة كما يخبرنا بذلك القديس ايرينيئوس ((وقد كانوا يمتلكون أيقونات بعضها مرسوم بالألوان وبعضها مرصع بمواد مختلفة مؤكدين أن صورة المسيح التي يمتلكونها هي أصلية ورسمت بمعرفة بيلاطس وقد توجوا هذه الصورة ووضعوها بجوار بعض الفلاسفة المشهورين في العالم وكانوا يكرمون هذه الصورة بطرقٍ مختلفة كما يفعل الأمم أي التبخير)) وأدى تمادي الغنوسيين في تكريم الأيقونات في نصف القرن الثاني لإثارة المؤمنين ضد الأيقونة ومهاجمتها. وقاد هذه الحركة أغلب لاهوتيي ذلك العصر مثل ايرينيئوس وترتليان واوريجانس وأغسطينوس بعدهم . وذلك بحجة أنه يكفي السيد تواضعاً إذ تجسد مدةً من الزمن ولبس جسداً هذا يكفيه تواضعاً فلما نبقيه في الجسد من خلال الصورة . فاعتبروها تحقيراً له . لكن هذه الأفكار لم تمنع الإلهام الإلهي ونمت الأيقونة بنعمة الله وهؤلاء اللاهوتيون ما استطاعوا منع أنفسهم من الإقدام على إكرام الأيقونات فترتليان عدو الأيقونات أول من تحمس لإشارة الصليب ورسمها . راجع كتاب الصليب المقدس متى المسكين وحث على استخدام الرموز والتصاوير المعبرة عن السيد المسيح .

وكانت الأيقونة التي هي العمل الإلهي الإنساني معاً ((عمل الروح القدس بيد البشر)) ترينا الصورة البشرية لصاحبها المجردة من ثقل المادة أي الهموم والآلام الأرضية فترينا الصورة المتألهة.

ذلك كان حوالي القرن الرابع وأصبح للأيقونة بعض الشروط الأساسية فهي لاتحمل بعد ثالث مجردة كما سبق وأشرنا تعيد صاحبها إلى المجد الأول مجد آدم في الفردوس لها ألوان محددة. فالأحمر يشير إلى الدم دم الشهادة دم المخلص الذي به تألهنا فهو للألوهة . الأزرق يشير إلى طبيعتنا البشرية والأخضر لجمال الفردوس والتجدد الروحي .....الخ

وللأيقونة رموز من حيث شكل الأصابع الطويلة المشيرة لعمل الله بوساطة أحبائه، حجم الآذان الكبيرة بخاصة عند القديسين الجنود المشيرة إلى طاعة هؤلاء المجاهدين للأوامر الإلهية والذين أغلبهم فضل الموت على مخالفة أوامر المعلم الإلهي . الفم الصغير دلالة على أنهم لا يتكلمون من عندهم بل بكلمة الله أي ليس في أفواههم غشٌ . والوجه النصفي مثلاً هو نكرة

((شرير)) في الأيقونات ، لكن بعض الأيقونات لا تتقيد تماماً بهذه القاعدة فنجد فيها وجوه نصفية وقد يعود ذلك لعدم تقيد بعض المدارس بهذه القاعدة خصوصاً في الأيقونات التي فيها عدد كبير من الأشخاص . كرقاد السيدة أو الشعانين .... الخ

إلى ما هناك من أمور لم نذكرها.

من هذا نلاحظ أن الأيقونة هي عبارة عن مجموعة من الرموز التي توصلنا لهدف معين . هي كتاب لاهوت، إنجيل مفتوح كما قلنا سابقاً . وبما أن السيد تجسد لبس جسداً والقديسين هم بشرٌ مثلنا، لذا نصورهم بالأيقونات. ولذلك لا نجد أيقونة للآب_ قد يوجد بعض التصاوير أحياناً يرسم بها الآب لكن هذه بشكل جداً خاص _ أما الروح القدس فيصور بهيئة حمامة أو بشكل ألسنة نارية (أعمال٢:١) ((الروح القدس مثل حمامة نازلاً عليه)) مرقس ١: ١٠-١١ متى ٣: ١٦-١٧ لوقا ٣: ٢٢ -٢٣

وهذه الأسباب التي ذكرناها، نستقيها من آبائنا القديسين الذين دافعوا عن الأيقونات في فترة هرطقة محاربي الأيقونات ومن هؤلاء القديسين : البابا غريغوريوس الثاني والبابا غريغوريوس الثالث والقديس يوحنا الدمشقي.

ولزيادة هذه المعرفة نوجز هذه اللمحة عن تاريخ الأيقونة وحرب الأيقونات .

<u>لمحة عن تاريخ الأيقونة وما مرت به في فترة هرطقة محاربي الأيقونات:</u>

قلنا أن المسيحيين الأوائل استخدموا الصليب ورموزاً أخرى وكانت بعض النقوش التصويرية عن حياة السيد المسيح وبعض القديسين. وقد نجد بعض هذه النقوش متبقية على جدران الدياميس.

وثمة أيقونات شمعية موجودةٌ حتى الآن تعود للقرن الرابع والخامس الميلادي، نجد منها في دير القديسة كاترين في سيناء. وفي فترة ما بين القرنين الرابع والخامس عم احترام الأيقونات بحسب التعليم الكنسي وإن هذا الاحترام يعود للأشخاص المصورين عليها ويعبر عنه بالسجود والصلاة للشخص المصور على الأيقونة. لكن بين القرنين السابع والثامن أخذ هذا الاحترام يأخذ شكلاً مغلوطاً خصوصاً عند الطبقة البسيطة من الشعب بسبب قلة ثقافتها الدينية فبات هذا الاحترام يقدم للأيقونات بدون أن يتم بارتفاع الذهن نحو صاحبها بل صار يقدم لها . فكان يأخذ شكل عبادة الأصنام وكان لابد من إزالة هذا الخطأ . لكن للأسف كانت السلطة المدنية هي التي أخذت على عاتقها هذا الأمر مبعدةً السلطة الكنسية فكانت هرطقة محاربي الأيقونات . وكان أول مقاومي الأيقونات الإمبراطور لاون الايسافيري (٧١٧-٧٤١) الذي كان مهتماً بأمور الكنيسة فأخذ على عاتقه إزالة خطأ عبادة الأيقونات وبدأ بالعمل على طريقته الخاصة من دون أن يرجع للسلطة الكنسية إذ كانت له غايات سياسية. فأراد استمالة العرب المسلمين واليهود للمسيحية بإزالة احترام الأيقونات التي كانت عثرةً لهم فبدأ عمله هادفاً لإزالة ليس الخطأ في موضوع إكرام الأيقونة بل لإزالة الأيقونة كلياً من المسيحية لكن كان لابد من التحفظ والحذر في بداية الأمر لما تتمتع به الأيقونة من احترام عند كافة الشعب فأصدر سنة ٧٢٦ أول قرار ضد السجود للأيقونات وتعليقها في أماكن مرتفعة في الكنائس كي لا تصلها أيدي المؤمنون ولمنع تقبيلها فكان أول معارض لهذا القرار جرمانس بطريرك القسطنطينية ويوحنا الدمشقي الذي أرسل رسالة ضد محاربي الأيقونات إلى القسطنطينية مبرهناً التعليم الأرثوذكسي لإكرام الأيقونات .

لكن مرسوم لاون لم يلق قبولاً عند الشعب خصوصاً عندما أمر لاون بإزالة أيقونة السيد عن باب القصر فقام الشعب وأوقعوا الجندي الذي كان يتمم الأمر فمات لكن مع هذا رفعت الأيقونة عن الباب فكان في جزر تسيكيلا ثورة حقيقية لكن لاون استطاع تهدئها وفي سنة ٧٣٠ أصدر مرسوم بإخراج الأيقونات من الكنائس فرفض البطريرك جرمانس تنفيذ الأمر فانزل عن العرش سنة٧٣٣ وكان مكانه أنسطاسيوس الخاضع لأوامر الملك فأزيلت الأيقونات من الكنائس وأنزل الأساقفة المعارضين . عندها الكنائس الشرقية التي تحت سلطة العرب قطعت علاقتها بالكنائس اليونانية وكتب القديس يوحنا الدمشقي رسالتين ضدّ محاربي الأيقونات وعقد البابا غريغوريوس الثالث مجمع في رومية سنة ٧٣٢ حرم فيه محاربي الأيقونات وحاول لاون معاقبة البابا غريغوريوس بإرساله أسطول لمهاجمته ، لكن تحطم الأسطول بعاصفة وسنة ٧٤١ مات لاون وقد استطاع أن يخرج الأيقونات من الاستعمال الكنسي لكن لم يستطع إخراجها من الاستعمال في البيوت وبعد موت لاون أعيد إكرام الأيقونات لبعض الوقت . على عهد صهره أرتا بزر .لكن سنة ٧٤٣ أنزل ولي العهد قسطنطين أرتا بزر وبدأ على مثال والده لكن بأشد قسوة وعناد لإكرام الأيقونة كلياً ضمن القانون فعقد مجمع دعاه مسكونياً سنة ٧٥٤ كان في المجمع ٣٣٨ أسقفاً لكن لم يكن ولا بطريرك وقال المجمع بأن إكرام الأيقونات هو عبادة أوثان ورشق بالأناثيما ((اللعنة)) كل مدافع عن الأيقونات خاصة يوحنا الدمشقي وان كل من يحفظ أيقونة أو يكرمها ينزل من رتبته إذا كان كاهناً وإن كان علمانياً أو راهباً يفرز من الشركة ويقاصص وأقام المجمع على القسطنطينية بطريركاً الأسقف قسطنطين من فريجية . كان مشهوراً بعدائه لإكرام الأيقونات هذا كان بدل أنسطاسيوس المتوفى وكان الاضطهاد عنيفاً حتى وصل الأمر ليس بمحاربة إكرام الأيقونات فحسب بل أراد أن يلغي احترام إكرام بقايا القديسين . والحياة الرهبانية عدها كلها خرافات أو ضرباً جنونياً . فأحرقت بقايا القديسين أو طرحت في البحر ، وحولت الأديرة إلى ثكنات وإسطبلات للخيول وطرد الرهبان ومن انتقد هذا العمل مات بحد السيف وكانت أوامر الإمبراطور في كل مكان إلا في رومية ومنذ قرار المجمع المخالف بدأ البابا استفان بفصل رومية عن المملكة البيزنطية . وبهذا استطاع رفض مقررات مجمع محاربي الأيقونات ومات قسطنطين كبرونيم سنة ٧٥٥ وخلفه أبنه لاون خزر ٧٥٥ ـ ٧٨٠ وكان على مثال أبيه لكن زوجته كان لها تأثيراً كبيراً عليه إذ كانت تتمسك سراً بإكرام الأيقونات فعاد الرهبان الملاحقون للظهور في المدن وعاد يشغل المراكز الأسقفية أساقفة من مكرمي الأيقونات وفي سنة ٧٨٠ بسبب الأيقونات التي في غرفة نوم ايريني حاول لاون أن يعود فيخنق إكرام الأيقونات الذي عاد ليظهر . لكنه مات في تلك السنة وكانت ايريني مكان أبنها القاصر قسطنطين فأعلنت ذاتها من مكرمي الأيقونات وعادت الأديار للرهبان وأخرجت بقايا القديسة اوفيمية من البحر لتحظى بالإكرام اللازم .فبطريرك القسطنطينية بولس محارب الأيقونات أمام هذه الأحداث تخلى عن السدة البطريركية وكان مكانه رجل علماني اسمه طراسي من مكرمي الأيقونات الذي أعاد الشركة مع رومية والشرق ودعا لمجمع مسكوني الذي كان في القسطنطينية سنة ٧٨٦ لكن تأجل المجمع لوجود عدد كبير من محاربي الأيقونات و سنة ٧٨٧ افتتح المجمع في نيقية : وحرم مجمع محاربي الأيقونات الذي سنة ٧٥٤ وحدد المجمع وضع الصليب والأيقونات في الكنائس والبيوت ، وأعيد إكرام الأيقونات سنة ٧٨٧ .

لكن حزب محاربي الأيقونات بقي قوياً حتى بعد المجمع ذلك لوجود بعض الأساقفة من محاربي الأيقونات الذين اعترفوا في المجمع بإكرام الأيقونات للحفاظ على مراكزهم الأسقفية . إذاً كان استعداد جديد لحرب جديدة ضد الأيقونات وحصلت بالفعل عندما اعتلى العرش الإمبراطور لاون الأرمني ٨١٣ ـ ٨٢٠ الذي كان من محاربي الأيقونات لكنه أخفى ذلك في سره قبل أن يعيد اظطهاد الأيقونات وكلف يوحنا الغرماتيك بإعداد شهادة من الآباء القدماء ضد إكرام الأيقونات ليقنع بها الأرثوذكس

(هنا أقوال الآباء تأخذ ضد الأيقونات بسبب التفسير الخاطئ لكلام أولئك الشيوخ القديسين . مثلهم اليوم البروتستانت إذ لا يقولون ببتولية والدة الإله ولابشفاعاتها بسبب تفسيرهم المغلوط للكتاب المقدس) فأخذ حزب مقاومي الأيقونات بالنشاط لوجوده ضالته في الإمبراطور الجديد حتى أن الجنود أخذوا برشق أيقونة السيد الموجودة على باب القصر بالحجارة ((إذ كانت ايريني قد أعادتها إلى مكانها)) . فقام لاون بإنزالها بحجة منع الشغب .

هنا البطريرك نيكيفوروس ورئيس دير الستوديت لما رأوا بذلك بداية الاظطهاد ضد الأيقونات تمسكوا بقرارات المجمع المسكوني السابع وإذ رأى الإمبراطور ذلك دعا إليه نيكيفوروس فحضر ومعه ثيوذور وبعض اللاهوتيون فأبتدأ لاون محاولاً إقناعهم بعدم إكرام الأيقونات ولما لم يحصل معهم الاتفاق بدأ يستعمل القوة . فأصدر قرار يمنع فيه الرهبان من التبشير بإكرام الأيقونات ، هذا لم يوقعه إلا قلة قليلة من الرهبان . لكن لاون أنزل نيكيفورس ونفاه عام ٨١٥ وأقام مكانه ثيوذوت كاسيتير عدو الأيقونات هذا عقد مجمعاً حرم فيه المجمع السابع واعترف بمجمع كبرونيم سنة ٧٥٤ المحارب للأيقونات لكن هذا المجمع أبدى تنازلاً للأرثوذكس فترك لكل شخص الحرية إذا أراد أن يكرم الأيقونات فقبل القرار بعض الرهبان الحاضرين لولا تدخل ثيوذور المتمسك بالإيمان القويم والذي لم يرد أن يعرف البطريرك الجديد ولا المجمع ولم يخشى من إعلان اعتراضه على المجمع المخالف ، إذ كان يسعى لإرضاء الله لا البشر فألف زياح عظيم يوم أحد الشعانين طاف به شوارع المدينة بالأيقونات وترتيل المزامير . فأرسله لاون إلى المنفى حيث تعذب كثيراً وشارف على الموت جوعاً لولا أن حارس السجن كان يشاركه بطعامه إذ كان ذلك الحارس في سره من مكرمي الأيقونات وكان ثيوذور من منفاه يكتب الرسائل للأرثوذكس مثبتاً فيهم إكرام الأيقونات واستمر الحال هكذا حتى العام ٨٢٠ عندما أُنزل لاون الأرمني واعتلى العرش ميخائيل الألثغ ٨٢٠ - ٨٢٩ الذي أعاد من المنفى نيكيفورس لكن لم يرجعه لمنصبه وأعاد أيضاً ثيوذور . وسمح بإكرام الأيقونات البيتي لخوفه من حزب مقاومي الأيقونات . وخلف ميخائيل أبنه ثيوفيليس ٨٢٩ - ٨٤٠ الذي كان أكثر شدةً من أبيه ضد إكرام الأيقونات إذ تربى تحت إشراف يوحنا الغرماتيك الذي صار بطريركاً ، فعاد ثيوفيل ومنع إكرام الأيقونات البيتي وطرد الرهبان . لكن كان ضمن عائلته مكرمين للأيقونات حماته ثيوكتيستا وزوجته ثيوذورة التي اعتلت العرش بعد موته سنة ٨٤٢ عوضاً عن ابنها القاصر ميخائيل الثالث فأعادت ثيوذورة إكرام الأيقونات وأنزل البطريرك يوحنا الغرماتيك عن السدة البطريركية وصار مكانه القديس مثوذيوس الذي عقد مجمعاً أكد فيه قداسة المجمع السابع وفي ١٩ شباط ٨٤٢ الأحد الأول من الصوم تنظم زياح عظيم في شوارع المدينة بالأيقونات وما زال حتى اليوم أحد الأرثوذكسية أحد انتصار الكنيسة على الهرطقات .

تكريس الأيقونة . والمعجزات التي بوساطتها :

تصبح الأيقونة مقدسة مكرسة لا بل من الأقداس فبعد الانتهاء من رسم الأيقونة المصنوعة من الألوان الطبيعية ((الترابية)) توضع في الكنيسة مدة أربعين يوماً ثم تتلى عليها صلاة من كتاب الأفخولوجي وتدهن بالميرون المقدس الذي هو ختم الروح القدس والذي لا يعطى إلا للخارجين من جرن المعمودية

((أي القديسين)) وينفخ عليها نفخة الروح القدس كما في المعمودية { تجدر الملاحظة أن ثمة رأي بعدم دهن الأيقونة بالميرون والاكتفاء بالصلاة عليها } .

المعجزات التى تحصل بوساطة الأيقونة هي على الأغلب لثلاثة أسباب :

١- إيمان الشخص المصلي أمامها .

٢- شفاعة القديس صاحب الأيقونة .

٣- قوة الصلاة والميرون المقدس . وقد تعود أحياناً للرسام الذي رسم الأيقونة إذا مؤمناً صائماً مصلياً .

ونصدر كلمة لمن ينقصهم الإيمان بقوة عمل الأيقونات في الشفاء والاستجابة فهؤلاء يلزمهم أن يروا بأعينهم مقدار الرعب والفزع الذي يداهم الروح النجس وهو على أحد المرضى عندما يواجه بصورة واحد من الأبطال أبطال الأيمان كأيقونة القديس جوارجيوس أو ديمتريوس أو مينا ..... الخ فكأن هناك معركة حقيقية واقعية بين القديس صاحب الأيقونة والشيطان فتسمع فزع وصراخ الشيطان من الحرب وطعن الرمح بل غالباً ما ترى بعينيك أثر الدماء الذي غالباً ما يكون على ملابس المريض ثم تجد المريض بعدها معافى كلياً كالمخلع الذي قام وحمل سريره ومشى مرقس ٢: ٣

الحقير جورج ذياب

مطرانية بصرى حوران وجبل العرب للروم الأرثوذكس